Journal Of the Iraqia University (71-4) September (2024)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

التفسيرُ اللُّغَوِيُّ للآيات الاعتقادية في سورة المائدة عند الأشاعرةُ المُعْتَزِلة والإماميّة (النُّبُوةُ ومقاصدها اصطفاءً)

عادل فرهود كاظم مهيدي المرشدي
الاستاذ المشرف الدكتور السيد رضا جواد المؤدب
كلية الالهيات والمعارف الإسلامية كلية الالهيات والمعارف الإسلامية

Linguistic interpretation of the belief verses in Surat Al-Ma’idah according to the Ash’ari, Mu’tazila and Imami (prophecy and its purposes in selection(

Adil Farhood Kadhim Al –Murshedi Prof.Dr: Reza. Moaddab
Islamic Republic of Iran / Qom University / Islamic Republic of Iran / Qom University College of Theology and Islamic Knowledge College of Theology and Islamic Knowledge
Email : adilfarhoodkadem@gmail.com
srmoaddab@qom.ac.ir

ملخص البحث

يعنى هذا البحث بمدارسة معالم التَّفْسِيرُ اللُّغَوِيُّ للايات الاعتقادية في سورة المائدة المباركة عند الأشاعرةُ المُعْتَزِلة والإماميّة وستكون النُّبُوةُ ومقاصدها مظهرا" لهذه المدراسة المتصلة بالايات الاعتقادية اقتضى البحث ان يكون في مقدمة وتمهيد بعنوان (التعريف بالكلمات المحورية في العنوان) ومبحثين ، الأول : صفات الأنبياء في سورة المائدة عند الأشاعرةُ المُعْتَزِلة والإماميّة ، الثاني : مقاصد النُّبُوةُ ووظائفها ثم ختمت البحث بمجموعة من النتائج محلها في نهاية البحث.الكلمات المفتاحية التَّفْسِيرُ اللُّغَوِيُّ، النُّبُوةُ، المَقَاصِد ، الأشاعرةُ ، المُعْتَزِلة، الإماميّة

Summary
This research is concerned with studying the features of the linguistic interpretation of the doctrinal verses in the blessed Surat Al-Ma’idah according to the Ash’ari, Mu’tazilites, and the Imami, and prophecy and its purposes will be a manifestation of this study related to the doctrinal verses. The research required it to be in a preface entitled (Introducing the pivotal words in the title and two topics, the first: the attributes of the prophets in Surat Al-Ma’idah. The Ash'ari, Mu'tazila, and Imami branches, the second: the purposes and functions of prophecy, then I concluded the research with a set of results, which is the end of the research.
key wordsLinguistic interpretation, prophecy, objectives, Ash’ari, Mu’tazila, and Imami

المقدمة

الحمدُ لله الذي خلق فسوى وقدر فهدى وارسل الرسل واصطفى وصلى الله على محمد المصطفى الخطيب بالقرآن معلم البيان المعصوم من الزلات والاوهام وعلى آله حملة القرآن وادلة الهدى والرشاد وعلى صحبة المنتجبين الاخيار أما بعد فأن القرآن الكريم كتاب الله المحكم الحق العدل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يعرف الجمود والتوقف فهو غض جديد في كل زمان ومكان تاسيساً لذلك كثرت الدراسات والبحوث المتعلقة به من حيث أصول الدين وفروعه (العبادات والمعاملات) فضلا عن المعالم المتصلة بالاخلاق والتربية وغيرها فجاء هذا البحث لبيان اهم معالم التَّفْسِيرُ اللُّغَوِيُّ للايات الاعتقادية المتصلة بالنُّبُوةُ ومقاصدها في سورة المائدة المباركة في ظلال أقوال أئمة المدارس الكلامية ولا سيما الأشاعرةُ المُعْتَزِلة والإماميّة أفاد البحث من مجموعة من الدراسات والبحوث المتصلة بالعنوان على الرغم من غياب الدراسات والبحوث التي تناولت هذا الأصل المهم النُّبُوةُ عند الأشاعرةُ المُعْتَزِلة والإماميّة في سورة المائدة المباركة بمنظور التَّفْسِيرُ اللُّغَوِيُّ فقد افاد الباحث من دراسة

مساعد الطيار (التَّفْسِيرُ اللُّغَوِيُّ في القرآن الكريم) وغيرهااتبع الباحث المنهجين الوصفي والتحليلي في منهجيته فيعتمد الأول : على رصد القضايا المتصلة بالنُّبُوةُ من جهة صفات الأنبياء ومقاصد النُّبُوةُ فضلا عن تبويبها وتقييمها ، ويعتمد الثاني : على تحليل المطالب المرصودة في ظلال ارجاعها الى أصولها واراء قائليها وبعد لملمة المادة المجموعة شرعت بوضع هيكلية للبحث تنبىء عن مساراته ومسالكه فجاء في مقدمة وتمهيد ومبحثين جاء التمهيد بعنون (التعريف بالكلمات المحورية للعنوان) ولا سيما التَّفْسِيرُ اللُّغَوِيُّ والايات الاعتقادية والنُّبُوةُ مع تبيان المراد بالأشاعرةُ المُعْتَزِلة والإماميّة.انعقد المبحث الأول بعنوان (صفات الأنبياء) (عليهم السلام) وجاء فيه ثلاث مطالب هي الأول : تشريف الأنبياء وتعظيمهم وتنزيههم ، الثاني : عصمة الأنبياء التكوينية ، الثالث : استجابة دعوة الأنبياء وانعقد المبحث الثاني بعنوان (مقاصد النُّبُوةُ ووظائفها) وجاء فيه ثلاثة مطالب ، الأول : إقامة العدل بين الناس ، والثاني : البشارة والهداية والثالث : التمكين من الاحكام الشرعية وختمت البحث بمجموعة من النتائج والاستحصالات المهمة المتصلة بالبحث ومطالبه.وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وصحبه الاخيار المنتجبين.

التمهيد : التعريف بالكلمات المحورية في العنوان في هذا التمهيد سنحاول ان نبين المراد من الكلمات المحورية التي انتظمت في العنوان من اجل تعريف القارىء الكريم بها أولا ولتكون مدخلا تعريفيا بيانيا للمراد من هذا البحث .

أولا: التَّفْسِيرُ اللُّغَوِيُّ تعريفا:وهو مركب وصفي مؤلف من ركنين اساسين هما : التَّفْسِيرُ واللُّغَوِيُّ .فالتَّفْسِيرُ هو مصدر (التفعيل) من الفعل الثلاثي المزيد التضعيف (فسر) بمعنى الكشف والوضوح والبيان قال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): ((فَسِرَ (الْفَاءُ وَالسِّينُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى بَيَانِ شَيْءٍ وَإِيضَاحِهِ. مِنْ ذَلِكَ الْفَسْرُ، يُقَالُ :فَسَرْتُ الشَّيْءَ وَفَسَّرْتُهُ .وَالْفَسْرُ وَالتَّفْسِرَةُ :نَظَرُ الطَّبِيبِ إِلَى الْمَاءِ وَحُكْمُهُ فِيهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ)).(مقاييس اللغة ج ٤ ، ص٥٠٤) وقال الراغب الاصفهاني (ت ٤٢٥ هـ) : ((والتَّفْسِيرُ في المبالغة كالفسر، والتَّفْسِيرُ قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها، قال (وأحسن تفسيرا)).(مفردات غريب القرآن ، ص ٣٨٠)وفي الاصطلاح : هو العلم الذي يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه ، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.)) (ينظر البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ج ١، ص ١٠٥)واللُّغَوِيُّ ينسبه الى (اللغة) وهي فعله من الأصل (لغا يلغو) بمعنى تهيج وتكلم قال ابن فارس : ((لغو) اللام والغين والحرف المعتل أصلان صحيحان ، أحدهما يدل على الشيء لا يعتد به ، والآخر على اللهج بالشيء .فالأول اللغو : ما لا يعتد به من أولاد الإبل في الدية . قال العبدي: أو مائة تجعل أولادها لغوا وعرض المائة الجلمد يقال منه لغا يلغو لغوا وذلك في لغو الأيمان . واللغا هو اللغو بعينه . قال الله تعالى ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾، أي ما لم تعقدوه بقلوبكم . والفقهاء يقولون : هو قول الرجل لا والله ، وبلى والله . وقوم يقولون : هو قول الرجل لسواد مقبلا :والله إن هذا فلان ، يظنه إياه ، ثم لا يكون كما ظن . قالوا : فيمينه لغو ، لأنه لم يتعمد الكذب. والثاني قولهم : لغي بالأمر ، إذا لهج به . ويقال إن اشتقاق اللغة منه ، أي يلهج صاحبها بها.)) .(مقاييس اللغة ، ج ٥ ص٢٥٦)وقال الراغب : ((لغا: اللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن روية وفكر فيجرى مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور)).(مفردات غريب القرآن ، ص ٤٥١) وفي الاصطلاح اللغة هي : ((أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)). (الخصائص ، ابن جني ، ج ١ ص٣٣) تاسيسا لذلك باستجماع دلالي التَّفْسِيرُ واللُّغَوِيُّ فان المركب الوصفي : (التَّفْسِيرُ اللُّغَوِيُّ) هو الممارسة التعاملية لقراءة النص القرآني من جهة الوقوف على الدلالات الفاظ القرآن الكريم واندراجها في النظم والسياق رغبة في رصد دلالات النص المبارك والوصول بحسب الطاقة البشرية الى تجليات النص وحقائقه .

ثانيا: الايات الاعتقادية مركب وصفي أيضا ، المراد منه الايات القرآنية المتعلقة بالعقيدة وهي كل ما يعتقد الانسان ويلتزم به ولا سيما الأصول الكبرى كالتوحيد والعدل والنُّبُوةُ والامامة والمعاد عند الإماميّة يجب عليه بحسب الفطرة العقلية المؤيدة بالنصوص القرآنية أن يفحص ويتأمل وينظر ويتدبر في أصول اعتقاداته المسماةبأصول الدينالتي أهمها التوحيد والنُّبُوةُ والإمامة والمعاد.(ينظر عقائد الإماميّة، الشيخ محمد رضا المظفر ، ص ٣٢)والتوحيد والنُّبُوةُ وعند الأشاعرةُ الايمان بالله والملائكة والكتب السماوية والرسل واليوم الاخر والقدر خيره وشره يريد بيان أنه تعالى قادر على كل مقدور، وهو مذهب الأشاعرة، وخالف أكثر الناس في ذلك، فإن الفلاسفة قالوا إنه تعالى قادر على شئ واحد، لأن الواحد لا يتعدد أثره(ينظر كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد (قسم الإلهيات) (تحقيق السبحاني) ، العلامة الحلي ، ص ١٦) اماعند المُعْتَزِلة فهي العدل والتوحيد وإنفاذ الوعيد والمنزلة بين منزلتين ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد سمىالمعتزلةأنفسهم أهل العدل والتوحيد وعنوا بالتوحيد (فتح الباري ، ابن حجر ، ج ١٣ ، ص ٢٩٠)

ثالثا: سورة المائدة (تعريفا)وتسمى سورة المائدة، والعقود، والمنقذة، (ينظر تفسيرالبحر المحيط ، أبي حيان الأندلسي ، ج ٣ ص٤٢٧ ط١، ١٤٢٢ – ٢٠٠١م) وقال شمس الدين القرطبي(ت ٦٧١هـ): ((وروي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : سورة المائدة تدعى في ملكوت الله المنقذة تنقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب ومن هذه السورة ما نزل في حجة الوداع).(ينظر تفسير القرطبي ، ج٦ ص ١)وعدد اياتها (١٢٠) مئة وعشرون آيه ، وقد اشتملت على مجموعة من المضامين قال الفخر الرازي : ((سورة المائدة مدنية وآياتها مائة وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يا أيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الانعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ في الآية مسائل:المسألة الأولى: يقال: وفى بالعهد وأوفى به، ومنه ﴿ الموفون بعهدهم﴾ (البقرة: ١٧٧) والعقد هو وصل الشيء بالشيء على سبيل الاستيثاق والأحكام، والعهد إلزام، والعقد التزام على سبيل الأحكام، ولما كان الإيمان عبارة عن معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأحكامه وأفعاله وكان من جملة أحكامه أنه يجب على جميع الخلق إظهار الانقياد لله تعالى في جميع تكاليفه وأوامره ونواهيه فكان هذا العقد أحد الأمور المعتبرة في تحقق ماهية الإيمان)).(مفاتيح الغيب ، ج ١١ ص ١٢٣وقال الطباطبائي ((بيان الغرض الجامع في السورة على ما يعطيه التدبر في مفتتحها ومختتمها، وعامة الآيات الواقعة فيها، والاحكام والمواعظ والقصص التي تضمنتها هو الدعوة إلى الوفاء بالعهود وحفظ المواثيق الحقة كائنة ما كانت، والتحذير البالغ عن نقضها وعدم الاعتناء بأمرها، وأن عادته تعالى جرت بالرحمة والتسهيل والتخفيف على من اتقى وآمن ثم اتقى وأحسن، والتشديد على من بغى واعتدى وطغا بالخروج عن ربقه العهد بالطاعة، وتعدى حدود المواثيق المأخوذة عليه في الدين.

ولذلك ترى السورة تشتمل على كثير من أحكام الحدود والقصاص، وعلى مثل قصة المائدة، وسؤال المسيح، وقصة ابني آدم، وعلى الإشارة إلى كثير من مظالم بني إسرائيل ونقضهم المواثيق المأخوذة منهم، وعلى كثير من الآيات التي يمتن الله تعالى فيها على الناس بأمور كإكمال الدين، وإتمام النعمة، واحلال الطيبات، وتشريع ما يطهر الناس من غير أن يريد بهم الحرج والعسر.)). (الميزان في تفسير القرآن ، ج ٥ ص ١٥٧.)

وقال الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) ((سورة المائدة وآياتها عشرون ومائة هي مدنية في قول ابن عباس، ومجاهد. وقال جعفر بن مبشر، والشعبي :هي مدنية كلها، إلا قوله ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم﴾ فإنه نزل، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم واقف على راحلته في حجة الوداع.

عدد آيها: هي مئة وعشرون آية كوفي: ثلاث وعشرون آية بصري، واثنتان وعشرون في الباقين.

اختلاف: ثلث بالعقود، ﴿ ويعفو عن كثير﴾غير الكوفي، ﴿ فإنكم غالبون﴾: بصري.)).(تفسير مجمع البيان ، ج ٣ ، الصفحة ٢٥٧) وقال بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ):((﴿ أوفوا بالعقود ﴾ قال هي العقود التي أخذها الله على أهل الكتاب أن يعملوا بما جاءهم)) (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ٢ ص ١٤٤)

رابعا: الأشاعرةُ المُعْتَزِلة والإماميّة الأشاعرةُ : فرقة إسلامية كبيرة نسبت الى ابي الحسن الاشعري (ت٤٢٤هـ) والأشعرية أصحاب أبي الحسن بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما وسمعت من عجيب الاتفاقات ان ابا موسى الأشعري رضي الله عنه كان يقرر عين ما يقرر الأشعري أبو الحسن في مذهبه .(ينظر الملل والنحل ، الشهرستاني ، ج ١ ص ٩٤)اما المعُتزلة: وهي فرقة إسلامية نشأت على يد واصل ابن عطاء .حينما اعتزل حلقه ابي عبيد واعتزل واصل عنهم وعن أستاذه بالقول منه بالمنزلة بين المنزلتين فسمى هو وأصحابه معتزلة .(ينظر الملل والنحل ، الشهرستاني ، ج ١ ، الصفحة ٣٠ اما الإماميّة فهي فرقة كبيرة من فرق الشيعة سموا بهذا الاسم لانهم قالوا بإمامة (١٢) اثنى عشر اماما معصوما والشيعة صارت في العرف اسما لمتبعي أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على سبيل الاعتقاد لإمامته بعدالنبي صلى الله عليه وآله وسلمبلا فصل من الامامية، والزيدية، وغيرهم. (ينظر تفسير مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي ، ج ٤ ، ص ٧٧)

خامسا: النُّبُوةُ ومقاصدها :النُّبُوةُ: مصدر من الأصل (نبا) بمعنى الارتفاع والعلو والسمو ، قال ابن فارس (النُّبُوةُ وهو الارتفاع كأنه مفضل على سائر الناس برفع منزلته. ويقولون النبي الطريق.

قال: لأصبح رتما دقاق الحصى * مكان النبي من الكاثب (نبأ) النون والباء والهمزة قياسه الإتيان من مكان إلى مكان. يقال للذي ينبأ من أرض إلى أرض نابئ. وسيل نابئ أتى من بلد إلى بلد ورجل نابئ مثله)).(ينظر معجم مقاييس اللغة ، ج ٥ ، ص ٣٨٥)وقال ابن منظور (ت ٧١١ هـ) : ((قال الفراء: النبي: هو من أنبأ عن الله، فترك همزه. قال: وإن أخذ من النُّبُوةُ والنباوة، وهي الارتفاع عن الأرض، أي إنه أشرف على سائر الخلق، فأصله غير الهمز. وقال الزجاج: القراءة المجمع عليها، في النبيين والأنبياء، طرح الهمز، وقد همز جماعة من أهل المدينة جميع ما في القرآن من هذا. واشتقاقه من نبأ وأنبأ أي أخبر)).(ينظرلسان العرب ، ج ١ ، ص ١٦٣)أما المَقَاصِد فهي على وزن (مفايل) مفردها (

مقصد) بمعنى الهدف والغاية والوسيلة والوظيفة.قال ابن منظور : ((وقوله تعالى: ﴿ يا قوم إتبعون أهدكم سبيل الرشاد ﴾ ، أي أهدكم سبيل القصد سبيل الله وأخرجكم عن سبيل فرعون. والمراشد: المَقَاصِد، قال أسامة بن حبيب الهذلي: توق أبا سهم، ومن لم يكن له من الله واق، لم تصبه المراشد وليس له واحد إنما هو من باب محاسن وملامح. والمراشد: مقاصد الطرق. والطريق الأرشد نحو الأقصد. وهو لرشدة)) . (لسان العرب ، ج ٣ ، ص ١٧٦)وفي الاصطلاح قال الطاهر ابن عاشور (ت ١٩٧٣هـ) هي : (المَقَاصِد العامة للشريعة بقوله : هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع او معظمها ، بحيث لا تختص ملاحظاتها بالكون في نوع خاص من احكام الشريعة ، فيدخل في ذلك اوصاف الشريعة وغايتها العامة ، ومن بين هذه المَقَاصِد العامة : حفظ النظام وجلب المصالح ، ودرء المفاسد ، وإقامة المساواة بين الناس)). (ينظر مقاصد الشريعة الإسلامية ، تقديم حاتم بوسمه ، دار الكتاب اللبنانية بيروت ٢٠١١م ، مقاصد الشريعة ومقاصدها ومكارمها ط٥، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٣) .

المبحث الأول : صفات الأنبياء (عليهم السلام)

في هذا المبحث سيكون الحديث عن صفات الأنبياء ومراتبهم في سورة المائدة بلحاظ اراء المدارس الكلامية (الأشاعرةُ ، المعُتزلة، الإماميّة)

المطلب الأول : : تشريف الأنبياء وتعظيمهم وتنزيههم

من المسائل المهمة المتصلة بالآيات الاعتقادية تعظيم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتشريفه وتنزيهه ففي قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ (المائدة : ٤١)قال الفخر الرازي (ت ٦٠٤ هـ) : اعلم أنه تعالى خاطب محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله : يا أيها النبي في مواضع كثيرة ، وما خاطبه بقوله : يا أيها الرسول إلا في موضعين : أحدهما : هاهنا ، والثاني : قوله ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ وهذا الخطاب لا شك أنه خطاب تشريف وتعظيم .المسألة الثانية :قرئ ﴿ لا يحزنك ﴾ بضم الياء ، ويسرعون ، والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر وذلك بسبب احتيالهم في استخراج وجوه الكيد والمكر في حق المسلمين وفي مبالغتهم في موالاة المشركين فإني ناصرك عليهم وكافيك شرهم))(مفاتيح الغيب ، ج ١٠ص ١٩٧-١٩٨) ولا يخفى إجماع الإماميّة والأشاعرةُ المُعْتَزِلة على هذا التشريف والتعظيم والتبجيل ويبدو ان الخطاب القرآني ينبىء بهذا الامر في ظلال الاية بأسلوب النداء الذي خرج الى التبجيل والتعظيم ، فضلا عن ذلك جاء الخطاب بالمادي لرسول للتعظيم ، فضلا" عن ذلك الجملة الفعلية الدالة على منع الحزن والالم عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) زد على ذلك وصف الذين لا يحزن عليهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بانهم قليلو السمع والايمان .وكذلك التقديم الدال على وصفهم بالأوصاف القبيحة التي لا تستوجب صدور الحزن من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)(ينظر مفاتيح الغيب : ج١٠ ص ١٩٨ معاني الفراء للزجاج)ولنا وقفة نحسبها مهمة في استنطاق النص لغويا من اجل تبيان شرافة منزلة خير البشر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ويتجلى ذلك في بدء الخطاب بأسلوب النداء التشريفي والتعظيمي لرسول الله تعالى ، اذ ورد هذا النداء بصيغة ﴿ يا أيها الرسول ﴾ مرتين فقط في القرآن الكريم ، الموضع محل البحث ، وقوله تعالى في موضع آخر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ (المائدة : ٦٧)للتدليل على عظمة المنادى تارة وعظمة الامر المنوط به تارة ثم اردف هذا النداء بجملة انشائية مؤداة بأسلوب النهي ، قوله : (لا يحزنك) للدلالة على ابعاد الحزن والالم والحسرة عن قلب عبد الله تعالى المصطفى وهو من امارات التشريف والتعظيم له (صلى الله عليه واله وسلم) ثم نلحظ تشنيع الله تعالى بالذين يريدون ان يؤذوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مسارعين الى تكذيبه في ضوء التدليس والتكذيب وتحريف الكلام عن مواضعة ذكر القرآن الكريم الأنبياء ونزاهتهم وتعظيم شأنهم في مواضع كثيرة نذكر بعضا منها وهي قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام : ٩٠) قال تعالى ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الانعام : ٨٤-٨٧.) قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾(. الزمر : ٣٦- ٣٧.)وقوله تعالى﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (المائدة : ٣٢)ومذهب المحققين من علماء الأشاعرةُ استحقاق الأنبياء جميعا ولا سيما النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) شرف الرسالة والنُّبُوةُ بقول مرسليه وهو الله تعالى : أنت رسولي ونبيي ، إذ كان نبيا وادم بين الماء والطين ، وحاصل الامر : في هذا شرف النُّبُوةُ وكمال المنصب ثابت للانبياء صلوات

الله عليهم اجمعين (الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، أبو بكر الباقلاني : ٥٥)(قال الشيخ المفيد في كتاب المقالات: اتفقت الإماميّة على أن أنبياء الله ورسله من البشر أفضل من الملائكة، ووافقهم على ذلك أصحاب الحديث، وأجمعت المعُتزلة على خلاف ذلك، وزعم الجمهور منهم أن الملائكة أفضل من الأنبياء والرسل، وقال نفر منهم سوى من ذكرناه بالوقف في تفضيل أحد الفريقين على الآخر، وكان اختلافهم في هذا الباب على ما وصفناه وإجماعهم على خلاف القطع بفضل الأنبياء على الملائكة [عليهم السلام] حسب ما شرحناه) (بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٥٧ – ص ٢٨٥–٢٨٦) وبالعود الى النص المبارك في سورة المائدة واستنطاقه لغويا ، نلمح التوكيد المتلاحق بلام القسم وقد في قوله ﴿لقد ﴾ وكذلك البدء بالفعل ﴿ جاءتهم﴾ للدلالة على السرعة والمجيء الكلي والفوري ، ثم إضافة الرسل اليه (جل جلاله) فقال : رسلنا ، وهي إضافة تشريفية اكتسب فيها المضاف الشرف والسمو والرفعة .

المطلب الثاني : عصمة الأنبياء التكوينية

في اللغة العصمة ((العين والصاد والميم اصل واحد صحيح يدل على امساك ومنع وملازمة))(معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ج ٤ص ٣٣١ (مادة عصم)وقال أبو بكر الرازي (ت ٦٦٦ هـ) : ((العصمة المنع ، يقال : عصمة الطعام أي : منعه من الجوع . والعصمة أيضا – الحفظ وقد عصمه يعصمه بالكسر عصمة فانعصم ، واعتصم بالله أي : امتنع بلطف من المعصية))(مختار الصحاح ٢٣٠ مادة عصم)نخلص في ضوء بيانات النصين السابقين ان العصمة هي المنع والحجر عن إتيان ما يغضب الله تعالى . في الاصطلاح :العصمة ((هي اللطف الذي يفعله الله تعالى ، فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح ، فيقال على هذا : ان الله تعالى عصمه بان فعل له ما اختار عنده العدول عن القبح))(أمالي المرتضى غرر الفوائد)درر القلائد الشريف المرتضى ، ٢/ ٣٤٧) وقيل العصمة هي ((صيانة النفس عن الخطأ والاثم حال القدرة على ارتكاب الاثم وانها من مقولة العلم ، : اذ ليست هي الا انكشاف حقائق الأمور) محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في القرآن))، رضا الصدر ، ١١٥–١١٦)تبين ان العصمة هي صيانة النفس ومنعها من إتيان القبائح والمفاسد ويمكن ان نلتمس معالم العصمة في سورة المائدة ففي قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾ (المائدة :٤٨)لا جرم ان الاية المباركة دليل واضح على عصمة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة وعصمة الأنبياء عامة ، بامارة قوله تعالى ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ ومنها رد على من طعن في عصمة الأنبياء في هذه الاية ويرى الفخر الرازي وهو من الأشاعرةُ ان في الاية دليل على عصمة الأنبياء على الرغم من جواز المعصية اليهم ودليله قوله ﴿ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴾ ، قال : ((تمسك من طعن في عصمة الأنبياء كثيرة الاية . وقال لولا جواز عليهم لما قال : ﴿ ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴾. والجواب : ان ذلك مقدرا له ، ولكن لا يفعله لمكان النص وقيل الخطاب له والمراد غيره)) (مفاتيح الغيب ، م ١١/١١)وقال ايضا : (قول من ذهب إلى أن وقت عصمتهم وقت بلوغهم ولم يجوزوا منهم ارتكاب الكفر والكبيرة قبل النبوة، وهو قول كثير من المعُتزلة) (مفاتيح الغيب ، ج ٣ ص ٧.وقد رفض الإماميّة قاطبة وقوع المعصية من النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة وعن الأنبياء عامة، لان وقوعها تمس اصطفاءهم وتقدح بمزلتهم .قال الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) : ((تنزيه الأنبياء والأئمة عليهم السلام عن الذنوب والقبائح كلها، ما سمي منها كبيرة أو صغيرة والرد على من خالف في ذلك، على اختلافهم وضروب مذاهبهم وأنا أجيب إلى ما سألت على ضيق الوقت، وتشعب الفكر، وأبتدئ بذكر الخلاف في هذا الباب، ثم بالدلالة على مذهب الصحيح من جملة ما أذكره من المذاهب، ثم بتأويل ما تعلق به المخالف من الآيات والأخبار، التي اشتبه عليه وجهها، وظن أنها تقتضي وقوع كبيرة أو صغيرة من الأنبياء والأئمة عليهم السلام، ومن الله تعالى أستمد المعونة والتوفيق، وإياه أسأل التأييد والتسديد.

بيان الخلاف في نزاهة الأنبياء عن الذنوب:

اختلف الناس في الأنبياء عليهم السلام .فقالت الشيعة الإماميّة، لا يجوز عليهم شئ من المعاصي والذنوب كبيرا كان أو صغيرا، لا قبل النُّبُوةُ ولا بعدها، ويقولون في الأئمة مثل ذلك، وجوز أصحاب الحديث والحشوية (.الحشوية: هم المحدثون القائلون بنفي التأويل)) تنزيه الأنبياء الشريف المرتضى ١٥ ويمكن تقريب هذه المسألة بحسب أقوال المدارس الكلامية أن الإماميّة المُعْتَزِلة منعوا منعا باتا صدور الخطأ والوهم والسهو من الأنبياء ، وما صدر في النص القرآني من باب ترك الأولى او خطاب لهم من باب (اياك اعني واسمعي ياجاره)في حين ذهب الأشاعرةُ بحسب قول الرازي وغيره ان ذلك مقدرا له فيجوز ان يصدر منه السهو والنسيان (القاضي أبو بكر الباقلاني واراءه الكلامية والفلسفية ، الدكتور عبد العزيز المجذوب ، ٣١٦) وذهب ابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ) الى اقوى من ذلك إذ اليه القول بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس افضل اهل رفاقه وانه يجوز وقوع المعاصي منه عدا الكذب . (الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ابن حزم الاندلسي ٤ / ٢٢٤ –٢٢٥)

.ويتخلى استنطاق النص لغويا ومقاربته في نفي وقوع المعصية من الأنبياء (عليهم السلام) ولا سيما خاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إذ تصدر النص المبارك بالجملة الانشائية المؤاداة بفعل الامر ﴿ فاحكم ﴾ الدال على الطلب والوجوب الحتمي وهو من امارات العصمة ثم لحقه أسلوب انشائي اخر مؤدى بجملة الطلب (لا والفعل المضارع) قوله : ﴿ ولا تتبع اهواءهم ﴾ ، أي المنع والقطع باتباع اهواء هؤلاء المنحرفين الضالين ومن ذلك تأكيد للعصمة والمنع من اجل صدور أي خطأ او سهوولا بد من معاينه السياق اللفظي بعد جملة النهي ، قوله : ﴿ عما جاءك من الحق ﴾ للدلالة على اللطف الإلهي والعناية الربانية العاصمة له والمانعة من اقتراف الذنب والوقوع في الخطأ.وتتجلى عصمة الأنبياء كذلك ولا سيما عصمة نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ (المائدة :٤٩) قال الفخر الرازي : ((﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ (الاسراء :٧٣) والفتنة هي من كلامهم التي تميل عن الحق وتلقى في الباطل وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول :(اعوذ بك من فتنة المحيا) قال هو يعدل عن الطريق . قال اهل العلم هذه الاية تدل على ان الخطأ والنسيان جائزات على الرسول ؛ لان الله تعالى قال ﴿ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾ والقصد في مثل هذه غير جائز على الرسول فلم يبق الا الخطأ والنسيان)) (مفاتيح الغيب ، ١١/ ١٣)وقال الشيخ محمد رضا المظفر : (عصمة الأنبياء ونعتقد أن الأنبياء معصومون قاطبة، وكذلك الأئمة، عليهم جميعا التحيات الزاكيات، وخالفنا في ذلك بعض المسلمين، فلم يوجبوا العصمة في الأنبياء فضلا عن الأئمة) (عقائد الإماميّة ، الشيخ محمد رضا المظفر، ص ٥٣)ومَنَعَت المُعْتَزِلة من وقوع الكبائر والصغائر المستخفّة من الأنبياء(عليهم السلام) قبل النُّبُوةُ وفي حالها، وجوّزت في الحالين وقوع ما لا يُستخفّ من الصغائر . (تنزيه الأنبياء ، ص ١٥-١٦)

وقال العلامة المجلسي : ((إعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة صلوات الله عليهم أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنبا " صغيرا " ولا كبيرا "، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شئ من أحوالهم فقد جهلهم، واعتقادنا فيهم أنهم موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم إلى أواخرها، لا يوصفون في شئ من أحوالهم بنقص ولا جهل)) (إعتقادات الصدوق ، ص ٩٩ ، بحار الأنوار ، ج ١١ ، ص ٧٢) وقال الفخر الرازي: ((اختلفوا على مذاهب: فالحشويّة على أنّه يجوز عليهم الإقدام على الصغائر والكبائر)) (عصمة الأنبياء ، الشريف المرتضى ، ٨)ولا يخفى ان الأشاعرةُ قالوا بوقوع الخطأ والنسيان من الأنبياء ، بينما المُعْتَزِلة والإماميّة منعا ذلك وقال المجلسي (ت ١١١١ هـ) وهو من ضمن الإماميّة : ((إعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة صلوات الله عليهم أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شئ من أحوالهم فقد جهلهم، واعتقادنا فيهم أنهم موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم إلى أواخرها)).(بحار الانوار، ج ١١ ، ص ٧٢) وقال الشيخ محمد رضا المظفر وهو من الإماميّة : ((العصمة : هي التنزه عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها، وعن الخطأ والنسيان، وإن لم يمتنع عقلا على النبي أن يصدر منه ذلك بل يجب أن يكون منزها حتى عما ينافي المروة، كالتبذل بين الناس من أكل في الطريق أو ضحك عال، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام)).(عقائد الإماميّة، ص٥٤) التَّفْسِيرُ اللُّغَوِيُّ:وهو قول الأشاعرةُ ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبقية الأنبياء يجوز ان يصدر منهم السهو والخطأ والنسيان ، مستندين بظاهر النصوص القرآنية في حين ذلك الإماميّة على المنع والنفي ، لان هذا الصدور يمس ساحة الأنبياء (عليهم السلام)ودليل ذلك توجد قرائن متصلة كثيرة تدل على ان الله تعالى قد عصم الأنبياء في الوقوع فيما يتبع به غيرهم من الشر في اثبات العلم والحكمة والخلق العظيم فهي تعارض ما يصدر منهم هفوات واخطاء وفضلا عن ذلك تتعارض مع الاصطفاء الإلهي والاختيار الرباني لهم فهم لطف من الطاف الله تعالى إذ نلحظ الجملة الانشائية المصدرة بالفعل الامري ﴿ احكم ﴾ وكذلك تلاحق الجملة الانشائية الأخرى المؤادة بأسلوب النهي . قوله : ﴿ ولا تتبع أهواءهم ﴾ ثم ارادفها بجملة امرية أخرى ، قوله ﴿ واحذرهم ﴾ وهذا دليل على المنعة والعصمة له (صلى الله عليه وآله وسلم) وغيره من الأنبياء باستبعاد وصدور السهو والنسيان والخطأ والمعصية فالسياق اللفظي المؤدى بالجملة الانشائية فضلا عن النظم الكلي يؤذن بنفي وقوع الخطأ والسهو منهم (عليهم السلام)

المطلب الثالث : استجابة دعوة الأنبياء

من المسائل المهمة المتصلة بالنُّبُوةُ مسألة ان دعوات الأنبياء مستجابة على فرضية الفورية والسرعة ففي قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (المائدة : ٢٥)فقد استدل الفخر الرازي بهذا النص على ان دعوات الأنبياء مجابة قال : ((إنه (عليه السلام) دعا الله يفرق بينه وبين القوم الفاسقين ، دعوات الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) مجابة وهذا يدل انه (عليه السلام) ما كان معهم في ذلك الموضع))(مفاتيح الغيب ، ١٠/ ١٧١)وقال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) : ((لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة

الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به إلا هارون ﴿قال رب إني لا أملك﴾ لنصرة دينك ﴿ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۚ ﴾ وهذا منا لبث والحزن والشكوى إلى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة، ونحوه قول يعقوب (عليه السلام) ﴿ إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ﴾ وعن علي رضي الله عنه أنه كان يدعو الناس على منبر الكوفة إلى قتال البغاة فما أجابه إلا رجلان ، فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال: أين تقعان مما أريد. وذكر في إعراب أخي وجوه: أن يكون منصوبا عطفا على نفسي أو على الضمير في إني بمعنى: ولا أملك إلا نفسي وإن أخي لا يملك إلا نفسه، ومرفوعا عطفا على محل إن واسمها كأنه قيل: أنا لا أملك إلا نفسي وهارون كذلك لا يملك إلا نفسه، أو على الضمير في لا أملك، وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي وهو ضعيف ؛ لقبح العطف على ضمير المجرور إلا بتكرير الجار)) (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، ج ١ ، الصفحة ٦٠٥)ويرى الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) : ((ان السياق نقيض الشكوى من موسى (عليه السلام) وإن الله تعالى في الاستنصار واجراء الامر الإلهي ، قال : (إن قوله : ﴿ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ ليس دعاء منه على بني إسرائيل بالحكم الفصل المستعصي لنزول العذاب عليهم او التفريق بينهما وبينهم باخراجهم من بينهم او يتوفيهما فانه (عليه السلام) كان يدعوهم الى ما كتب الله لهم من تمام النعمة)).(الميزان في تفسير القران ،ج٦ ص ٢٩٤)قال فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ) : ((لكل نبي دعوة مستجابة " قيل: أي مجابة البتة، وهو على يقين من إجابتها، وقيل: جميع دعوات الأنبياء مستجابة، ومعناه: لكل نبي دعوة لامته. وفيه: " أعوذ بك من دعوة المظلوم "أي من الظلم، لأنه يترتب عليه دعوة المظلوم، وليس بيتها وبين الله حجاب. وفى الدعاء: " اللهم رب الدعوة التامة " قيل: النافعة، لان كلامه تعالى لا نقص فيه، وقيل: المباركة، وتمامها فضلها وبركتها، ويتم الكلام في " ثم." وفى الحديث: " أنا دعوة أبي إبراهيم (ع))) (مجمع البحرين ، ج٢ ص ٣٩)لا جرم انه وقع للانبياء (عليهم السلام) دعوات مستجابة كثيرة ، اذ لكل نبي دعوة مستجابة تتناسب مع المقام والحوادث التي يعيشها (عليه السلام) ؛ اذ تبصر الدعوات المختلفة فيما تكون على القوم الفاسدين الذين يعيش بين ظهرانيهم وقد تجاوزوا الحدود وابتعدوا عن قيم السماء فيدعو عليهم باهلاكهم وربما يدعوعليهم بالهداية والرجوع الى الطريق المستقيم . (ينظر فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ج ١١ ، ص ١١٦ – ١١٧ ، إمتاع الأسماع ، المقزيزي ج٣ ص ٢٩٥)وفي ظلال معاينة النص المبارك محل الشرح والبسيط تتجلى البيانات اللغوية التفسيرية من خلال البدء بالفعل ﴿ قال ﴾ الدال على الحدث وإنزال الفعل الماضي منزله الحال والحاضر ثم ردفه بالنداء قوله ﴿ ربي ﴾ بالسكوت عن حرف النداء وهو الياء والاصل : يا ربي ، وسكت عنه للدلالة على القرب الإلهي والتواصل القريب مع الخالق العظيم ثم الابتداء (ابتداء القول) بالجملة الخبرية المؤكدة ﴿ إن ﴾ للاقرار والاثبات .بعد ذلك استعمال الفعل افرق وهو فعل أمري خرج الى الدعاء وطلب الابتعاد والانعزال عن قومه ، ولا يخفى الحزن والالم الذي تحصل من دعاء نبي الله تعالى موسى (عليه السلام) إذ نلمح حال الغربة والانعزال عن قومه بدليل قوله ﴿ لا املك إلا نفسي وأخي ﴾ وأنه يريد الابتعاد عنهم ابتعادا نهائيا لا رجعة فيه بأماره الفعل الآمري : ﴿ فافرق ﴾ فضلا عن ذلك البينة الفاصلة المؤادة بقوله : ﴿ بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ وقد وصف القوم بـ (الفاسقين) وهو اسم فاعل يدل على الثبات والدوام ، بمعنى : أنهم تلسبوا بالفسوق وهو الخروج عن طاعة الله تعالى الذي اصبح شعارا لهم وعلامة .

المبحث الثاني : مقاصد النُبوة ووظائفها

في هذا المبحث سيكون الحديث عن مقاصد النُبُوةُ ووظائفها أي اهم الأهداف والأسباب والغايات من بعثة الأنبياء وسيكون في ثلاثة مطالب هي

المطلب الأول : إقامة العدل بين الناس

من المسائل الاعتقادية المهمة المتعلقة بالنُبُوةُ (إقامة العدل بين الناس) ومن وظائف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأنبياء (عليهم السلام ففي قوله تعالى ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ (المائدة : ٤٢)قال الفخر الرازي : ((﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ ﴾ ثم إنه تعالى خيره بين الحكم فيهم والإعراض عنهم ، واختلفوا فيه على قولين : الأول : أنه في أمر خاص ، ثم اختلف هؤلاء ، فقال ابن عباس والحسن ومجاهد والزهري :أنه في زنا المحصن وأن حده هو الجلد والرجم . الثاني : أنه في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة والنضير ، وكان في بني النضير شرف وكانت ديتهم دية كاملة ، وفي قريظة نصف دية ، فتحاكموا إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فجعل الدية سواء . الثالث : أن هذا التخيير مختص بالمعاهدين الذين لا ذمة لهم ، فإن شاء حكم فيهم وإن شاء أعرض عنهم. القول الثاني : أن الآية عامة في كل جاءه من الكفار)) (مفاتيح الغيب ، ج١٠ص ٢٠١)قال الطاهر ابن عاشور : (وسبب نزول هذه الآيات حدث أثناء مدة نزول هذه السورة فعقبت الآيات النازلة قبلها بها . وسبب نزول هذه الآية وما أشارت إليه هو ما رواه أبو داود ، والواحدي في أسباب النزول ، والطبري في تفسيره ما محصله : أن اليهود اختلفوا في حد الزاني حين زنى فيهم رجل بامرأة من أهل خيبر أو أهل فدك ، بين أن يرجم وبين أن يجلد ويحمم اختلافا ألجأهم إلى أن أرسلوا

إلى يهود المدينة أن يحكموا رسول الله في شأن ذلك ، وقالوا : إن حكم بالتحميم قبلنا حكمه وإن حكم بالرجم فلا تقبلوه ، وأن رسول الله قال لأحبارهم بالمدينة : ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن ، قالوا : يحمم ويجلد ويطاف به ، وأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كذبهم وأعلمهم بأن حكم التوراة هو الرجم على من أحصن ، فأنكروا ، فأمر بالتوراة أن تنشر أي تفتح طياتها وكانوا يلفونها على عود بشكل أسطواني وجعل بعضهم يقرؤها ويضع يده على آية الرجم أي يقرؤها للذين يفهمونها ، فقال له رسول الله : ارفع يدك فرفع يده فإذا تحتها آية الرجم ، فقال رسول الله : لأكونن أول من أحيا حكم التوراة . فحكم بأن يرجم الرجل والمرأة . وفي روايات أبي داود أن قوله تعالى يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر نزل في شأن ذلك ، وكذلك روى الواحدي والطبري.) (التحرير والتنوير ج ٦ ص ١٩٥) وإقامة العدل من لدن الأنبياء بين الناس وهي تقع ضمن وظائفهم ومهامهم التي وكلها الله تعالى اليهم والهدف من بعثتهم .ولا يوجد خلاف ان إقامة العدل والحكم بين الناس من وظائف النُّبُوةُ عند المدارس الكلامية (الأشاعرةُ المُعْتَزِلة والإماميّة) ويبدو ان مظاهر التَّفْسِيرُ اللُّغَوِيُّ كفيله بإثبات هذه الوظيفة وهي إقامة العدل بين الناس بلحاظ الحكم بين اليهود وجاء الاستعمال القرآني بالتخيير بدلالة (او) التي تفيد التخيير وهو ضرب من التوسعة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذلك معاينة الجملة الشرطية الدالة على الإقرار والإثبات والحجاج بلزوم الحكم بالعدل بينهم فضلا عن ذلك ختم النص بالجملة الخبرية المبدوءة بـ (ان) المؤكدة وكذلك مجيء خبر ان جملة فعلية (يحب المقسطين) لحدوث هذا الحب وتنزيهه على مر الأيام والدهورتكررت هذه الوظيفة مرة أخرى في قوله تعالى ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ (المائدة : ٤٩) وهي وظيفة (إقامة العدل بين الناس) ففي النص السابق من السورة المباركة قوله تعالى ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ (المائدة : ٤٨)ولا يخفى ان إقامة العدل والحكم الحق بين الناس متفق عليه بين الأشاعرةُ المُعْتَزِلة والإماميّة ، هذا الفعل من مكملات النُّبُوةُ ومقاصدها ، فالحكم معطوف على الكتاب ويجوز ان يكون معطوفا على قوله : (بالحق) ، ولا يخفى ان إقامة بين الناس هو ضرب من العظمة فالذي يحكم بالعدل ويصل الى هذه المهمة العظيمة الموكلة بها تعصمه من الوقوع في الخطأ والسهو ان وظائف الأنبياء (عليهم السلام) ولاسيما نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إقامة العدل من المسائل المتصلة بالنُّبُوةُ ولا سيما وظائف النُّبُوةُ مسألة حكم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بين الناس ففي قوله تعالى ﴿ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(المائدة : ٤٣)ثم إن الله تعالى حذر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من الحكم بينهم ولديهم التوراة فيها التفاصيل والتشريعات يريدون ايقاعك في الخلاف والحجاج (وكون التوراة عندهم ، أي يتولون عن حكمك في حال ظهور الحجة الواضحة ، وهي موافقة حكومتك لحكم التوراة. (ينظر التحرير والتنوير ٦ / ٢٠٧)ومن الاستشهادات القرآنية في سورة المائدة الدالة على هذه الوظيفة (إقامة العدل بين الناس) قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ (المائدة : ٤٨) قال الفخر الرازي : ((﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ ﴾ يعني فاحكم بين اليهود بالقرآن والوحي الذي نزله الله تعالى عليك ﴿ ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴾ وفيه مسائل: المسألة الأولى: ﴿ ولا تتبع ﴾ يريد ولا تنحرف ، ولذلك عداه بعن ، كأنه قيل : ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم وروي أن جماعة من اليهود قالوا : تعالوا نذهب إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعلنا نفتنه عن دينه ، ثم دخلوا عليه وقالوا :يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم ، وإنا إن اتبعناك اتبعك كل اليهود ، وإن بيننا وبين خصومنا حكومة فنحاكمهم إليك ، فاقض لنا ونحن نؤمن بك ، فأنزل الله تعالى هذه الآية والمسألة الثالثة : تمسك من طعن في عصمة الأنبياء بهذه الآية وقال : لولا جواز المعصية عليهم وإلا لما قال : ﴿ ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴾)) (مفاتيح الغيب ج ١١ ص ١١)ومن الاستشهادات القرآنية على هذه الوظيفة (إقامة العدل بين الناس) قوله تعالى ﴿ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ (المائدة :٤٢) قال السيد الطباطبائي :((قوله تعالى: ﴿ فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ﴾ (إلى آخر الآية) تخيير للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بين أن يحكم بينهم إذا حكموه أو يعرض عنهم، ومن المعلوم أن اختيار أحد الامرين لم يكن يصدر منه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا لمصلحة داعية فيؤول إلى إرجاع الامر إلى نظر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورأيه.

ثم قرر تعالى هذا التخيير بأنه ليس عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) ضرر لو ترك الحكم فيهم وأعرض عنهم وبين له أنه لو حكم بينهم فليس له أن يحكم إلا بالقسط والعدل . فيعود المضمون بالآخرة إلى أن الله سبحانه لا يرضى أن يجرى بينهم إلا حكمه فإما أن يجرى فيهم ذلك أو يهمل أمرهم فلا يجرى من قبله (صلى الله عليه وآله وسلم) حكم آخر)).(الميزان في تفسير القرآن ، ج ٥ ، ص ٣٤١)

وقوله تعالى :﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ (المائدة : ٤٢)قال الطاهر ابن عاشور : ((فإن ذلك دل على حوار وقع بينهم في إيفاد نفر منهم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للتحكيم في شأن من شئونهم مالت أهواؤهم إلى تغيير حكم التوراة فيه بالتأويل أو الكتمان ، وأنكر عليهم منكرون أو طالبوهم بالاستظهار على تأويلهم فطمعوا أن يجدوا في تحكيم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يعتضدون به . وظاهر الشرط يقتضي أن الله أعلم رسوله باختلافهم في حكم حد الزنا ، وبعزمهم على تحكيمه قبل أن يصل إليه المستفتون . وقد قال بذلك بعض المفسرين فتكون هذه الآية من دلائل النبوءة . ويحتمل أن المراد : فإن جاءوك مرة أخرى فاحكم بينهم أو أعرض عنهم. وقد خير الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحكم بينهم والإعراض عنهم . ووجه التخيير تعارض السببين; فسبب إقامة العدل يقتضي الحكم بينهم ، وسبب معاملتهم بنقيض قصدهم من الاختبار أو محاولة مصادفة الحكم لهواهم يقتضي الإعراض عنهم لئلا يعرض الحكم النبوي للاستخفاف)) .(التحرير والتنوير ج٦ ص ٢٠٢-٢٠٣)ويتجلى التَّفْسِيرُ اللُّغَوِيُّ في ظلال معاينه النظم القرآني ؛ إذ بدأ النص بجملة شرطية مبدوءة بـ ﴿ إن ﴾ الدالة على ثبوت الحكم وإقراره وقد خُير (صلى الله عليه وآله وسلم) بين الحكم أو الاعراض عن الحكم ، واذا حكمت فليكن شعارك العدل والقسط في الحكم ، فان الله تعالى يحب المقسطين ، اذ اقرَّ هذا الحب من خلال تأكيد بحرف التوكيد ﴿ إنَّ ﴾ فضلا عن ذلك مجيء الخبر جملة فعلية مضارعية ﴿ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾. ﴿ شَيۡـٔٗا ﴾ تنكير للتحقير وهو منصوب على المفعولية المطلقة لأنه في نية الإضافة إلى مصدر . (التحرير والتنوير ج٦ ص٢٠٣) وقوله: ﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ﴾ أي بالعدل . والعدل : الحكم الموافق لشريعة الإسلام . وهذا يحتمل أن الله نهى رسوله عن أن يحكم بينهم بما في التوراة لأنها شريعة منسوخة بالإسلام . وهذا يحتمل أن الله نهى رسوله عن أن يحكم بينهم بما في التوراة لأنها شريعة منسوخة بالإسلام . وهذا الذي رواه مالك. (ينظر التحرير والتنوير ج٦ ص٢٠٤)وقال الشيخ جعفر السبحاني : ((العدل في الذكر الحكيم تضافرت الآيات الكريمة مركزة على قيامه سبحانه بالقسط، نورد فيما يلي بعضا منها:

قال سبحانه ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ﴾ سورة آل عمران :الآية ١٨. وكما شهد على ذاته بالقيام بالقسط، عرف الغاية من بعثة الأنبياء بإقامة القسط بين الناس. قال سبحانه: ﴿ ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ سورة الحديد :الآية ٢٥. كما صرح بأن القسط هو الركن الأساس في محاسبة العباد يوم القيامة، إذ يقول سبحانه: ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا﴾ (سورة الأنبياء :الآية ٤٧)وما في هذه الآيات وغيرها إرشادات إلى ما يدركه العقل من صميم ذاته، بأن العدل كمال لكل موجود حي مدرك مختار، وأنه يجب أن يتصف الله تعالى به في أفعاله في الدنيا والآخرة، ويجب أن يقوم سفراؤه به) (الإلهيات ، ص ٢٨٩) وتأسيساً على ذلك فان العدل في التشريع الإسلامي وهذه المكانة التي يحتلها العدل التي عرفت أنه لولاه لارتفع الوثوق بوعده ووعيده وانخرم الكثير من العقائد الإسلامية هي التي جعلته سبحانه يعرف أحكامه ويصف تشريعاته بالعدل، وأنه لا يشرع إلا ما كان مطابقا له.العدل في روايات أئمة أهل البيت اشتهر علي (عليه السلام) وأولاده بالعدل، وعنه أخذت المعتزلة، حتى قيل: " التوحيد والعدل علويان والتشبيه والجبر أمويان. (ينظر الإلهيات ، ص ٢٩٠)

المطلب الثاني : البِشارَةُ والهِدايَة

من المسائل المهمة المتصلة بمبحث النُّبُوءُ مسألة التبشير ببعثة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والبشارة بمجيء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ لاهتداء الناس لنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ففي قوله تعالى ﴿ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ (المائدة : ٤٦ أشار الفخر الرازي الى ان المراد (مصدقا") ((فيمكن حمله على كونه مبشرا بمبعث محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبمقدمه وأما كونه هدى مرة أخرى فلأن اشتماله على البشارة بمجيء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) سبب لاهتداء الناس إلى نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لا جرم أعاده الله تعالى مرة أخرى تنبيها على أن الإنجيل يدل دلالة ظاهرة على نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فكان هدى في هذه المسألة)). (مفاتيح الغيب ، ج١١ص ٩) ويرى الزمخشري (قبلا إن عيسى (عليه السلام) كان مُتعبدا بما في التوراة من الأحكام لان الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة، وظاهر قوله – وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه – يرد ذلك، وكذلك قوله – لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا – وإن ساغ لقائل أن يقول معناه: وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل)). (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، ج ١ ، ص ٦١٧) ويظهر اجماع المدارس الكلامية (الأشاعرةُ المُعْتَزِلة والإماميّة) في إقرار هذه الوظيفة المراد من النُّبُوءُ وبعثة الأنبياء قال الطباطبائي : ((ان الإنجيل المذكور في الاية . ومعناها البشارة كان كتابا نازلا على المسيح (عليه السلام) لا مجرد البشارة من غير كتاب ﴿ فيه هدى ونور ﴾

محاذاة لقوله في وصف التوراة : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيه هدى ونور ﴾ يراد به ما يشتمل عليه الكتاب في المعارف والاحكام غير أن قوله تعالى في هذه الاية ثانيا : ﴿ وهدى وموعظة للمتقين ﴾ يدل على ان الهدى المذكور أولا غير الهدى الذي تفسيره الموعظة فالهدى المذكور أولا هو نوع المعارف الذي يحصل بها الاهتداء في باب الاعتقادات ، وأما ما يهدي من المعارف الى التقوى في الدين فهو الذي يراد بالهدى المذكور ثانيا)). (الميزان في تفسير القرآن ج ٥، ص ٣٤٦)التَّفْسِيرُ اللُّغَوِيُّ:ويبدو أن المعطوفات الخمسة الدالة على صفات الإنجيل ومزاياه دلالة على البشارة ببعثة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتبصر بمجيء هذه الاوصاف نكرات للدلالة على التعظيم والتنوع والتوسع فيها من جهة ، كونها متلبسة بالانجيل من جهة أخرى .ومن التعالقات النصية القرآنية الدالة على هذه الوظيفة (البشارة والهداية في سورة المائدة قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾(المائدة : ١٩)قال الفخر الرازي : ((في قوله ﴿ يُبَيِّنُ لَكُمۡ ﴾ وجهان : الأول : أن يقدر المبين ، وعلى هذا التقدير ففيه وجهان : أحدهما : أن يكون ذلك المبين هو الدين والشرائع ، وإنما حسن حذفه لأن كل أحد يعلم أن الرسول إنما أرسل لبيان الشرائع ، وثانيها : أن يكون التقدير يبين لكم ما كنتم تخفون ، وإنما حسن حذفه لتقدم ذكره)) . (مفاتيح الغيب ، ج ١٠ص١٦٤)والمقصد والغاية والهدف من الهدف في بعث النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)من الأمور والقضايا والمسائل المتصلة بمبحث أداة النُّبُوةُ المقصد من بعث محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

قال أيضا : ((الفائدة في بعثة محمد عليه الصلاة والسلام عند فترة من الرسل هي أن التغيير والتحريف قد تطرق إلى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها ، وبسبب ذلك اختلط الحق بالباطل والصدق بالكذب ... فبعث الله تعالى في هذا الوقت محمدا عليه الصلاة والسلام إزالة لهذا العذر)). (مفاتيح الغيب ، ج ١٠ص١٦٥)وهذا الفهم والتصور افاد منه الطباطبائي بقوله : ((فإن الاية الأولى بينت لهم ان الله ارسل اليهم رسولاً أيده بكتاب مبين يهدي بإذن الله الى كل خير وسعادة ، وهذه الاية تبين أذ ذلك البيان الإلهيّ إنما هو لإتمام الحجة عليهم أن يقولوا : ما جاءنا من بشير ولا نذير)) . (الميزان في تفسير القرآن : ج ٥ ص ٢٥٣)اما مقصد التبشير والإنذار فيتجلى في قوله تعالى : ﴿ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (المائدة : ١٩)

المطلب الثالث : التمكين من الأحكام الشرعية

من الوظائف المهمة والمَقَاصِد الجليلة في بعثة الأنبياء وظيفة (التمكين من الاحكام الشرعية) ، وتبليغها للخلق المبعوثين اليهم ، إذ لابد من الإيمان بجميع الرسل والأنبياء ، وهذا ما عليه الإجماع ، من هنا فان الله تعالى قد أشار إلى إن (اليهود كانوا مضطرين بأنه لابد من حصول النجاة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة إلا انه كانوا مصرين على تكذيب بعض الرسل فذكر بعد إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة انه لا بد من الإيمان بجميع الرسل حتى يحصل المقصود وإلا لم يكن من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة تأثير في حصول النجاة بدون الإيمان بجميع الرسل) (ينظر مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ج ١٠ص ١٥٧)التَّفْسِيرُ اللُّغَوِيُّ:سؤال أثاره الفخر الرازي مفاده ((لمَ أخّر الإيمان بالرسل عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مع انه مقدم عليهم ، الجواب إن اليهود كانوا مضطرين .تكذيب الرسل والأنبياء مصداق من مصاديق نقض ميثاق ففي قوله تعالى ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (المائدة : ١٣)قال الفخر الرازي : ((في نقضهم الميثاق وجوه : الأول : بتكذيب الرسل وقتل الأنبياء .الثاني : بكتمانهم صفة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الثالث : مجموع هذه الأمورقال أصحابنا (الأشاعرةُ) ﴿ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ ﴾ أي جعلناها نائبة عن قبول الحق منصرفة عن الانقياد للدلائل . وقالت المُعْتَزِلة ﴿ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ ﴾ أي أخبرنا عنها بأنها صارت قاسية كما يقال : فلان جعل فلانا فاسقا وعدلا)) . (مفاتيح الغيب ، ج ١٠ ص١٥٨)ويرى الطباطبائي أن الميثاق هو إقامة فروع الدين كإقامة الصلاة وأتيان الزكاة والايمان بأحكام الله تعالى وتعاليم الرسل فضلا عن التصدق ، وأن الابتعاد عن هذه الاحكام من امارات قسوة القلب . (الميزان في تفسير القرآن ، ج ٥ ، ص ٢٤٠)من هنا يظهر الاجماع بين الأشاعرةُ المُعْتَزِلة والإماميّة في إقرار هذه الوظيفة ويتجلى التَّفْسِيرُ اللُّغَوِيُّ الذي يظهر اعجازية النظم القرآني الدال على إثبات هذه الوظيفة بلحاظ التوكيد المؤدي بـ (الياء) للتأكيد ، وكذلك الابهام في النقض واللعن الدالين على التحقير أو التعظيم ، فضلا عن حضور الجملة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد (لعناهم) ، (جعلناهم) .

خاتمةُ البحثِ ونتائجه

ونحن نَصِلُ إلى خاتمة هذا البحث الموسوم (التَّفْسِيرُ اللُّغَوِيُّ للايات الاعتقادية في سورة المائدة عند الأشاعرةُ المُعْتَزِلة والإماميّة (النُّبُوةُ ومقاصدها اصطفاءً) نحمدُ الله (عزّ وجلّ) على توفيقه ومننه في إتمام هذا البحث وقد ترشحت لي في ضوء البيانات التفسيرية والممارسات البيانية طائفة من النتائج المهمة التي لها صلة ماسة بالبحث ، وهي :الأولى : تبدى للباحث أن أصل النُّبُوةُ ومقاصدها ووظائفها من المباحث المهمة في الثقافة

الإسلامية لما لهذا الأصل من ارتباط عقدي بين العبد وربه من جهة وبين العبد والأنبياء المصطفين من جهة أخرى وتظهر العلاقة الأولى في ضوء وجوب الاعتراف والإقرار بهذا الأصل ؛ لان مقام النُّبُوةُ هو مقام صادر من الخالق العظيم فيتوجب من العبد ان يتأمل في هذا الاصطفاء والاختيار لهؤلاء الرسل وتظهر العلاقة الثانية أن هؤلاء الأنبياء هم الصفوة والنخبة ؛ فلا بد أن تتبع وتحتذى ويلتزم باتباع اوامرهم وتبليغاتهم .

الثانية : تبين للباحث أهمية هذا الأصل من جهة بيانه وتعرف مقاصده ووظائفه عند علماء المسلمين ولا سيما علماء الكلام الأشاعرةُ المُعْتَزِلة والإماميّة وغيرهم إذ كثرت البحوث والمقالات المتعلقة بهذا الأصل ؛ لما يمثله من مكانة عظيمة في الأصول الاعتقادية .

الثالثة : ظهر للباحث مجموعة من الصفات الخاصة بالأنبياء بوصفهم عباد الله المصطفين الذين اختارهم من سائر خلقه ، ومن أهّم هذه الصفات التشريف والتعظيم والتنزيه لشخوصهم ومنازلهم ودرجاتهم وكذلك انهم موصوفون بالعصمة وهي الامتناع من صدور أي قول او فعل يوصف بالقبح والجهل والسفه فضلا عن تكامل شخصيتهم وكون دعواتهم مستجابه لا تعرف الفتور والتراخي .

الرابعة : بدا للباحث مجموعة من المَقَاصِد والوظائف المتصلة بالنُّبُوةُ بوصفها مشروعاً الهياً عظيما ومن هذه المَقَاصِد إقامة العدل بين الناس وتبشير العباد بالثواب والجزاء وهدايتهم الى السعادتين الدنيوية والاخروية فضلا عن التمكين من الاحكام الشرعية .

الخامسة : لحظ الباحث حضور الاختلافات بين المدارس الكلامية في مجموعة من المسائل الاعتقادية المتصلة بالنُّبُوةُ من جهة بيان مقاصدها وصفات الأنبياء (عليهم السلام) ومن تلك المسائل قضية عصمة الأنبياء من جهة صدور الوهم والسهو منهم أو عدم صدورهما.

وأخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رِبِّ العالمينَ وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين وصحبه الاخيار المنتجبين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إعتقادات في دين الامامي الصدوق ، ، تحقيق :عصام عبد السيد الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤١٤ – ١٩٩٣ م

٢. الإلهيات ، الشيخ جعفر السبحاني ، ، قم ، سنة الطبع: ١٤٠٩ – ١٩٨٩ م

٣. امالي المرتضى غرر الفوائد درر القلائد الشريف المرتضى ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم ،إيران١٤٠٣ هـ ق ، سنة الطبع: ١٣٢٥ – ١٩٠٧ م

٤. الإمامة تلك الحقيقة القرآنية ، الدكتور زهير بيطار ، دارة السيرة بيروت ، لبنان 1422هـ. ق / ٢٠٠١

٥. إمتاع الأسماع – المقريزي – ج ٣، تحقيق وتعليق محمد عبد الحميد النميسي ، ط١ ، :١٤٢٠ – ١٩٩٩ م ،

٦. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ،مطبعة : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات

٧. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) ،ط١،دار سحنون ، تونس ، ١٩٩٧م.

٨. الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ) (ج ٤ ص ٢٢٤ –٢٢٥) المحقق محمد علي صبيح، الناشر، مكتبة السلام العالمية ، سنة النشر ١٩٩٤م

٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، الزمخشري ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة الطبع: ١٣٨٥ – ١٩٦٦ م.

١٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – ابن عطية الأندلسي – ج ٢ – الصفحة ١٤٤ ، تحقيق :عبد السلام عبد الشافي محمد ط١ ، ١٤١٣ – ١٩٩٣م

١١. الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) ،ط٢ ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ١٣٩٠ هـ –١٩٧١م

١٢. بحار الأنوار – العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء،بيروت،لبنان ، ط٢ المصححة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م

١٣. تفسير البحر المحيط ، أبي حيان الأندلسي ، ج ٣ ص٤٢٧ ط١، ١٤٢٢ – ٢٠٠١م

١٤. تفسير القرطبي القرطبي ، شمس الدين محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ج٦ ص ١)

١٥. تفسير علي بن إبراهيم القمي ، تحقيق ، تصحيح وتعليق وتقديم : السيد طيب الموسوي الجزائري الطبعة: الثالثة ، سنة الطبع: صفر ١٤٠٤

١٦.تنزيه الأنبياء – الشريف المرتضى – الطبعة الثانية ، دار الأضواء ، ١٤٠٩ هـ. – ١٩٨٩

١٧. عصمة الأنبياء ، الفخر الرازي ، المجموعة : مصادر سيرة النبي والائمة ، سنة الطبع : ١٤٠٦

١٨. عقائد الإماميّة، الشيخ محمد رضا المظفر، تحقيق تقديم ، الدكتور حامد حفني داود، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ،إيران، قم .
١٩. عيون أخبار الرضا (ع) ، الشيخ الصدوق ، تصحيح وتعليق وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت : لبنان ، سنة الطبع: ١٤٠٤ – ١٩٨٤ م
٢٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري ألفه الحافظ ابن حجر العسقلاني المجموعة، مصادر الحديث السنية . قسم الفقه ، الطبعة: الثانية ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان.
٢١. كشف المراد في شرح تجريد ،الاعتقاد العلامة الحلي ،قدم له وعلق عليه جعفر السبحاني ، قسم الإلهيات ، تحقيق السبحاني ،٧٢٦ هـ)
٢٢. مجمع البحرين – الشيخ الطريحي ، تحقيق، السيد أحمد الحسيني ،الطبعة: الثانية ،سنة الطبع: ١٤٠٨ – ١٣٦٧ ،
٢٣. مجمع البحرين للعالم المحدث الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحي المتوفى سنة ١٠٨٥.
٢٤. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن عبد القادر الحنفي الرازي تحقيق، ضبط وتصحيح ، أحمد شمس الدين ، الطبعة: الأولى ، ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ، سنة الطبع: ١٤١٥ – ١٩٩٤ م
٢٥. معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس، بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون مركز النشر ، مكتب الاعلام الاسلامي طباعة وتصحيف: مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي تاريخ النشر ،جمادي الآخرة ١٤٠٤
٢٦. مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) ، محمد فخر الدين ضياء الدين (ت ٦٠٤هـ) ط١، دار الفكر بيروت ١٤٢٦هـ .
٢٧. مقاصد الشريعة الإسلامية ،الطاهر ابن عاشور ، تقديم حاتم بوسمه ، دار الكتاب اللبنانية بيروت ٢٠١١م ، مقاصد الشريعة ومقاصدها ومكارمها ط٥، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٣م)